



## Pragmatic Study of Metaphor between Literary Function and Communicative Aspect [In Arabic]

Aisha Abizah \*<sup>1</sup>

<sup>1</sup> Department of Arabic Language and Literature, Amar Telidji University of Laghouat, Algeria



\*Corresponding author: ab.abiza2015@gmail.com



Received: 06 Aug, 2024

Revised: 18 Nov, 2024

Accepted: 30 Nov, 2024

### ABSTRACT

Pragmatics examines how context helps in understanding meaning. Therefore, its concept is not limited to the speaker's communicative actions but also includes the effects that meaning has on the receiver within social interactions. The scope of pragmatics involves the applied study of the Arabic language and represents an objective approach to interpreting and understanding texts by linking linguistic contexts to their functions and purposes. In this regard, it focuses on meaning, context, the necessity of speech acts between sentences, and their communicative implications. Numerous linguistic and critical studies have been conducted that attempt to analyze the structure of literary texts and their syntactic features through various methods and approaches, especially pragmatic analysis. On the other hand, metaphor possesses both communicative and artistic dimensions, whose analytical aspects are derived based on conceptual variables that stem from changes in linguistic meaning. These communicative and artistic capacities — appropriate to speech situations — do not originate from simple or literal expression. This research seeks to explore the artistic manifestations of metaphor and uncover its rhetorical and communicative secrets. The study also emphasizes the necessity of analyzing metaphor as one form of linguistic function within its communicative dimension, moving away from the restrictive traditional approach. Furthermore, pragmatic study within the real framework of language provides an application of metaphors free from stereotypes, ensuring that they do not lose their dynamic and functional flexibility in relation to the intended meaning.

**Keywords:** Language Study, Rhetoric, Metaphor Study, Pragmatic Study, Literary Function, Communicative Dimension.

## الاستعارة بين الأداء الفني والبعد التواصلي؛ دراسة تداولية

عائشة عبيزة<sup>\*</sup>

١. قسم اللغة والأدب العربي، جامعة عمار ثيبيجي بالأغواط، الجزائر

\*نويسنده مسئول مقاله Email: ab.abiza2015@gmail.com

القبول: ۱۴۴۶/۰۵/۲۸

التعديل: ۱۴۴۶/۰۵/۸۶

الاستلام: ۱۴۴۶/۰۲/۰۱

### الملخص

ال التداولية هي المعنى في التفاعل ومن ثم لا يقتصر مفهومها على الأعمال التواصلية التي يؤديها المتكلم بل يشمل أيضا الآثار التي تحدثها تلك الأفعال في المتلقى، ودراسة الاستعارة في بعدها التداولي تعيننا دائمًا إلى فكرة الربط بين المتكلم والسامع، فهي شكل لغوي خاص يتطلب ثقافة لغوية معينة تبرز في معرفة المتكلم لمقام الاستعارة وأشكالها وحدودها. تعتبر الدراسة التداولية لمسائل العربية من أهم الدراسات التي يجب أن تحظى باهتمام الدارسين في بعدها التطبيقي وبخطواتها الإجرائية، وذلك لأنها تمثل منهاجاً موضوعياً لتفسير النصوص وفهمها من خلال ربطها بين الأشكال اللغوية وبين وظائفها ومصادتها معتمدة في ذلك على المعنى وما يكتنف الجملة العربية من مناسبات قول ومقتضياته، وهي بذلك تربط بين السياقين: الإلاغي واللفظي مع مراعاة العلاقة القائمة بين المتكلم والمخاطب. لقد تعددت الدراسات اللغوية والنقدية التي تحاول تحليل بنية النصوص الأدبية وخصائصها التربوية وفقاً لمناهج ومقاربات متعددة، ولا سيما المنهج التداولي، وحققت الكثير من النجاح على المستوى التطبيقي في هذا المجال، و من بين الأشكال اللغوية الاستعارة في بعديها التواصلي والفنى بما تحمله من قيم حجاجية تقوم أساساً على تغيير العلاقات بين العناصر اللغوية انطلاقاً من مفهوم نقل المعنى مما يجعلها تكتسب قدرة تواصلية فنية\_ تناسب مع المقام ومناسبات القول\_ لم تكن ل تستفاد من العبارة الأصلية. وهو ما تحاول هذه الدراسة تبع مواضعه وبيان مظاهره الفنية وأسراره المعنوية والتواصلية. وصلت الدراسة كذلك إلى أن ضرورة التحليل الذي يقوم علىأخذ الاستعارة كأحد أشكال الأداء اللغوي في إطار التواصلي وذلك بإعادة دراستها لتأخذ قيمها الحقيقية، وتبتعد عن الطرح التقليدي الذي يقيدها بمفهومي الانتقال والتشبيه، اللذان تقوم عليهما ولكنها في نفس الوقت تعدّ تعبيراً عن حالة أو معنى لا يمكن التعبير عنه بغيرها مقامياً وهو ما يمنح دراسة هذه الصور ضمن إطارها الفعلى الاستعمالي دون تمييزها لكي لا تفقد حيويتها ومررتها الأدائية التي تربطها بالمعنى أو المعاني المقصودة، وهي بذلك توادي وظيفة تأثيرية إيجابية.

**الكلمات الرئيسية:** دراسة اللغة العربية، علم البلاغة، دراسة الاستعارة، دراسة تداولية، الأداء الفني، البعد التواصلي.

## المقدمة

إن اعتماد المنهج التداولي لتحليل الجملة العربية رغم مرور عقود على بدايته لم يكتمل بعد بحيث يأتي على جميع القضايا اللغوية، وتعتبر الدراسة التداولية لمسائل العربية من أهم الدراسات التي يجب أن تحظى باهتمام الدارسين في بعدها التطبيقي وبخطواتها الإجرائية، وذلك لأنها تمثل منهاجاً موضوعياً لتفسير النصوص وفهمها من خلال ربطها بين الأشكال اللغوية وبين وظائفها ومقداصدها معتمدة في ذلك على المعنى وما يكتنف الجملة العربية من مناسبات قول ومقتضياته، وهي بذلك تربط بين السياقين: الإبلاغي واللغوي مع مراعاة العلاقة القائمة بين المتكلم والمخاطب، تلك العلاقة التي اعتبرت بها البلاغيون كثيراً وفسروا من خلالها تعدد الأشكال اللغوية وتتنوعها من موقف إلى آخر وكان من ضمنها الصور البينية والعلاقات المجازية التي تمثل نقل العبارة من وضع إلى آخر وتغيير الشكل الأدائي للاستعمال اللغوي إلى صورة تحمل في طياتها بعضاً تأويلياً يحتاج فيه المتكلقي إلى قدرات ذهنية وذوقية لفهمها والتواصل معها (أي الصورة).

هذا، وتعد الاستعارة شكلاً لغرياً يتميز عن بقية أشكال الأداء اللغوي الأخرى بكونه يعتمد على مفهوم الانتقال من المعنى القريب إلى المعنى البعيد من خلال توسل مفهوم المشابهة دون أن تكون مذكورة بصورة صريحة، إذ قد يذكر المشبه به أو أحد لوازمه، وذلك دون الخروج عن المعنى المقصود بمفهوم المشابهة، ويضع بعض الدارسين من أمثال فايكل الاستعارة على قائمة الصور البينية – نظراً لما تتمتع به من خصائص ومميزات – لأنها تغطي النشاط البلاغي بكل شعباته، ويتبين ذلك من خلال قوله: «إن الحديث عن الاستعارة يعني الحديث عن النشاط البلاغي بكل ما فيه من تعقيد» (أمبرتو إيكو، ٢٠٠٥: ٢٣٤).

وقد كان فهم القدماء للاستعارة يعتمد على وضعها وعلى الغرض منها – رغم اختلاف تعريفاتهم بحسب المنطلقات المعتمدة – كقول القاضي الجرجاني: ((الاستعارة ما اكتفي فيها بالاسم المستعار عن الأصل، ونقلت العبارة فجعلت مكان غيرها، وملأها تقريب الشبه ومناسبة المستعار له للمستعار منه، وامتزاج اللفظ بالمعنى حتى لا يوجد بينهما منافرة، ولا يتبيّن في أحدهما إعراض عن الآخر)) (الوساطة بين المتباين وخصوصه: ٤١)، وقول الرمانى: ((الاستعارة تعليق العبارة على ما وضعت له في أصل اللغة على جهة النقل للإبانة))(الرمانى، ١٩٧٦: ٧٩).

ومن ثم كان التركيز أكثر من الوجهة البلاغية على دورها في نقل مستوى الكلام، مما يبرز تمكّن المتكلّم من أدائها على صورة لغوية ذات أبعاد جمالية تنتقل بالمعنى المقصود من مستوى الأداء المباشر إلى مستوى غير مباشر يحتاج فيه المتكلّمي إلى فهم أبعاد التركيب ليستوعب ما يقصد من الاستعارة، والتي تأخذ شكلاً أدائياً مميزاً في اللغة – مع تحقيق مبدأ التواصل – عن طريق الانتقال من العلاقة السببية التي تربط الكلمة أو الكلمات المنقوله عن معناها الوضعي إلى الاستعمال الجديد الذي يعد شرطاً مهماً لإنتاج هذا الشكل البلاغي، وهو ما حاول البحث فيه لتبيّن تلك العلاقة المستحدثة بين الجانب اللغوي والجانب المعنوي لتحقيق التواصل، وذلك من خلال المنهج التداولي الذي يتناول الأغراض الكامنة فيها وقيمها الحجاجية.

إن تحليل بنية الاستعارة لفهم القصد في الكلام لا يعني مطابقة نتيجة هذا التحليل للأداء الفعلي للاستعارة، لأنه لا يمكن أن يكون بديلاً عنه ولا يساويه لدرجة المطابقة، إذ إن الفائد في الاستعارة على المستوى اللغطي تمثل في ما يكتسبه التعبير بواسطتها من انتقال للفكر من مستوى لغوي إلى آخر، وإعمال للذهن لفهم المقصود، أما على المستوى المعنوي فيعد المعنى في هذه الحالة مركباً من الدلالة القرية للفظ والدلالة البعيدة، كما أن التحصيل في بعض الحالات قد يكون جزئياً من قبل السامع، وهو ما يفسر اختلاف الدارسين في شرح معنى الاستعارة الواحدة.

### ١\_ العبارة الاستعارية وأنواعها:

هذا، وقد عالج سيرل الاستعارة من خلال عرضه للتمييز التداولي بين المعنى النحوى للجملة، والمعنى التداولي الذى يتخذ قصد المتكلم أساساً له، ويشير بداية إلى أن هذين المعنين يتطابقان في المنطق الحرفى، أما في المنطق الاستعاراتي فإن الأمر يختلف اختلافاً واضحاً مما يبين لنا الأبعاد التواصلية للاستعارة وتفاؤتها من ناحية التأليف وهو أمر لم يغب عن أذهان البلاغيين العرب منذ القديم في تمييزهم بين أشكال الاستعارات ودرجات تفاضلها من سياق إلى آخر، وقد ذهب سيرل في تقسيم المنطق الاستعاراتي (العبارة الاستعارية) انطلاقاً من هذا التمييز إلى ثلاثة أنواع (عيد بلجع، ٢٠٠٥):

**١\_ المنطق الاستعاري البسيط:** وفيه تقوم الاستعارة على الاستبدال المحدد لكلمة بكلمة أخرى، أي كلمة ملفوظة بأخرى مضمرة وتمثل المقصود المجازي، أو قصد المتكلم مثل قولهم: "زارنا القمر".

**٢\_ المنطق الاستعاري غير المحدد:** وهو يتسم باتساع مجال المعاني التي يحملها المنطق الاستعاري، إذ لا يتحدد المضمر هنا في كلمة واحدة بل يتشعب بين عدة دلالات مجازية يحملها بعد المجازي الاستعاري، غالباً ما تكون في الخطاب الأدبي الإبداعي.

**٣\_ الاستعارة الميتة:** وفيها يُحمل المعنى الأصلي للملفوظ، ليكون المعنى المجازي الاستعاري هو الملفوظ.

وهذه الأنواع وإن اتفقت في المفهوم العام وهو استعارة اللفظ واستعماله في صورة مغایرة لأصل وضعه، فإنها تختلف في قوة المعنى ودرجة انتقاله من الأصل إلى اللفظ الاستعاري المقصود سياقاً بمعناه المضمر وراء مفهوم النقل.

**٤\_ الأداء الفني للاستعارة:** ومصطلح الأداء يوحى بمعاني البراعة وإحكام الصياغة وجودة النظم واتساق الألفاظ والمعاني وسائل القيم التعبيرية خصوصاً أن النص الأدبي الذي ينحو فيه صاحبه التعبير غير المباشر باستعمال المجاز والصور الفنية يعتبر مجالاً تتحول فيه الظواهر اللغوية إلى قيم جمالية خاصة الإبداع الذي يتجلّى من خلال استعمال الاستعارات، ولذلك نجد مصطلح الأداء ارتبط كثيراً في الدراسات الحديثة بصفة (الفنى) فهو لا يرتبط بمجرد المعنى وإنما بالقيم الفنية والمالية التي تتميز من خلالها أساليب الكلام بين الأدباء والخطاب والمبدعين.

لا يخفى ما تتحققه الاستعارة من بعد فني جمالي في اللغة، ولو تصورنا لغة خالية من التصوير والتشبثي ل كانت لغة جامدة تتصف بالسطحية، كما أن قرب تناول المعنى لا يسمح في تحقيق عنصر التسويق لفهم هذا المعنى، خاصة إذا ارتبط استعمال الاستعارة أو التشبثي بالنصوص الأدبية التي تتطلب تعدد القراءة للنص الواحد، واحتمالية وجود معانٍ مختلفة في الأداء اللغوي الواحد بواسطة إعمال الفكر واختبار الذكاء والحس الذوقي، ولذلك قسمت الاستعارة في أحد تقسيماتها إلى قسمين، كان الأساس في التمييز بينهما وجوب البعد الفني والجمالي أو عدم وجوده، وهذا نقسمان هما: الاستعارة اللغوية، وهي تلك الأساليب اللغوية التي ركبت تركيباً قوامه المشابهة الخارجية بين الأشياء، بمعنى أن أي غرض فني، نحو: "رجل الطاولة، بطن الوادي، ساق الشجرة، رأس الرمح، أسنان المشرط ونحوها، واستعارة جمالية: وتعنى بالتقاط الأفكار والأحساس وتصويرها تصويراً غير محدد الدلالة، وهي قادرة على الغوص في أعماق الشاعر وردّهات نفسه لاستكناه ما غمض من انفعالاته (عدنان حسين، ٢٠٠٠: ١٢٢-١٢٣).

لو افترضنا المعنى يؤدى بشكله اللغوي لمعناه الأصلي فسيغيب من الكلام ذلك التصوير المعنوي واللفظي في نقل العبارة من مستوى أدنى إلى مستوى أعلى من الفهم والإدراك. ويتجلى الأداء الفني للاستعارة في استيعاب ثانية التألف والتنافر بوصف الشيء بما لم يوضع له حقيقة ولا يكون ذلك إلا بمناسبة بينهما، ولعل الأمر يزيدوضحاً في الاستعارة المكنية التي يغيب فيها المشبه به فتكثر بذلك المجهولات في معادلة المعنى، مما يتطلب جهداً آخر من قبل المتكلمي للبحث في المناسبة بين ذلك المحذوف من خلال أحد أدواته لتزييد الصورة قوة وتأثيرها في النفس.

### ٣\_ البعد التواصلي للاستعارة:

التداولية هي المعنى في التفاعل ومن ثم لا يقتصر مفهومها على الأعمال التواصيلية التي يؤدىها المتكلم بل يشمل أيضا الآثار التي تحدثها تلك الأفعال في المتكلمي، ودراسة الاستعارة في بعدها التداولي تحيلنا دائماً إلى فكرة الربط بين المتكلم والسامع، فهي شكل لغوي خاص يتطلب ثقافة لغوية معينة تبرز في معرفة المتكلم لمقام الاستعارة وأشكالها وحدودها. لكي لا يخفى جميع معالم العلاقة بين طرفي التشبثي في الاستعارة ويترك له بعض الدلائل على ما حذف من التركيب اللغوي ليجعلها السامع بذلك وسيلة للوصول للمعنى.

رغم أن الاستعارة تقوم على بعد التشبثي لتكون مستحسنـة في الكلام إلا أن هذا البعد لا ينبغي أن يذهب بصاحبه بعيداً فهناك حد لذلك وهو أن لا يؤدى إلى الغموض والسبب تداولي محض، إذ إنه كما أيرى ألستون(alston) التشابه عنصر هام في تشكيل الاستعارة، وأن الاستخدام الاستعاري للتعبير هو انحراف عن جميع المعاني الأساسية وهو مع ذلك مفهوم واضح للشخص الذي عنده فهم جيد للغة (أبو العروس، ١٩٩٧: ١١٧). ولذلك أطلق الجرجاني مصطلح "التخيل" على الغلو والإغراء في التشبثي والتصوير لما له من أثر في البعد عن مفهوم التواصل. يقول في أسرار البلاغة: «وجملة الحديث الذي أريده بالتخيل هنا ما يثبت فيه الشاعر أمراً هو غير ثابت أصلاً، ويدعى دعوى لا طريق إلى تحصيلها ويقول قوله يخدع فيه نفسه ويريها ما لا ترى» (أسرار البلاغة: ٢٧٥).

هذا، ويمكن أن تستوتنا في هذا السياق فكرة الاستحسان أو الاستهجان اللتان توصف بهما الاستعارة في النصوص الأدبية منذ القديم وإلى يومنا هذا، وذلك بالنظر إلى فكرة البساطة والتعقيد، أو الوضوح والغرابة التي كان وراءها فهم المعنى المقصود بتبع جزئيات التركيب، يقول الجرجاني في هذا الصدد (( وأكثر هذا الصنف من الباب الذي قدمت لك فيه وأقمت لك الشواهد عليه، وأعلمتك أنه يميز بقوى النفس أو نورها، وينتقد بسكون القلب وتبوءه، وربما مكنت الحجاج من إظهار بعضه، واهتدت إلى الكشف عن صوابه وغلطه )) (الجرجاني، ۱۹۶۶: ۴۲۹).

كما أكد أبو هلال العسكري هذه الفكرة في وصفه للاستعارة بالسيئة، يقول: (( ومن سوء الاستعارة وليس لسوء الاستعارة وسوء الاستعارة مثل يعتمد، وإنما يعتبر ذلك بما تقبله النفس أو ترده، وتعلق به أو تنبئ عنه فمما تنبئ عنه قول علامة الفحل:

وكل قوم إن عزوا وإن كرموا عريفهم بأثافي الشر مترجم (بن عبدة، ۱۹۹۶: ۵۵)

أثافي الشر بعيد جداً)) (أبو هلال العسكري، ۱۴۱۹: ۳۰۹).

ويمكننا التمثيل للمعنى في التركيب الاستعاري ومداه الإدراكي كما يلى:

**البنية اللغوية العبيدة ← البنية اللغوistic ← المعنى الأصلي العرضي + المعنى الاستعاري المقصود**



ومما يربط بهذا الدور الذي تقوم فيه الاستعارة بوظيفتها التواصلية، ضمن الأداء اللغوي العام يكشف البحث البلاغي منذ القديم عن القيم التركيبية للاستعارة، وكونها لا تقوم على معايير ثابتة، لا يعني الكفاءة المطلقة في تأليفها فهي شكل إبداعي ضابطه الحس المرهف والذوق السليم وهو ما يجمعه بعض الدارسين في مفهوم الملاممة التي يتوقف عليها كل استعمال لغوي، ذلك أن "الفائدة في التلاؤم حسن الكلام في السمع، وسهولته في اللفظ، وقبل المعنى له في النفس لما يرد عليها من حسن الصورة وطريق الدلالة. ومثل ذلك مثل قراءة الكتاب في أحسن ما يكون من الخط والحرف، وقراءته هي أقرب ما يكون من الحرف والخط، فذلك متفاوت في الصورة وإن كانت المعاني واحدة" (النكت في إعجاز القرآن: ۹۶).

#### ٤\_ الوظائف التواصلية للاستعارة:

شغلت فكرة الوظائف علماء اللغة منذ القديم إلا أن أكثر ما ترتبط هذه الفكرة بالدرس اللساني الحديث، وفي هذا السياق سنحاول ربط الاستعارة بما تؤديه في الكلام من دور تواصلية متعدد الجوانب ومتفاوت الدلالات، ولذلك تبه البلاغيون قدما على القيمة التواصلية للاستعارة واعتبروا ببيانها والتأكيد عليها، ذلك أنه «لولا أن الاستعارة المصيبة تتضمن ما لا تتضمنه الحقيقة، من زيادة فائدة لكيانت الحقيقة أولى منها استعمالا» (كتاب الصناعتين: ۲۶۸)، لذلك ستنطلق من تعريف أبي هلال العسكري للاستعارة مبينا في نفس الوقت الغرض الذي وضع لها \_ وهو ما يمكن إدراجه

## الاستعارة بين الأداء الفني والبعد التواصلي؛ دراسة تداولية

ضمن فكرة الوظائف التواصلية يقول: «نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة لغرض، وذلك الغرض إما أن يكون شرح المعنى وفضل الإبارة عنه، أو تأكيده والبالغة فيه، أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ، أو تحسين المعرض الذي يبرز فيه» (المصدر نفسه: ٢٦٨)، ومن خلال هذه المقوله يمكننا أن نعرض وظائف الاستعارة ودورها في الكلام كشكل لغوي خاص يعتمد على الذوق وسلامة الفهم لاستيعابه والتواصل من خلاله، وذلك على النحو التالي:

### ٤\_ وظيفة توضيحية (الشرح والتفسير):

وذلك دون أن تكون العبارة المذكورة شارحة أو مفسرة بصورة مباشرة وإنما التفسير يقوم في ذهن المتلقى من خلال إيجاد المناسبة أو المتشابهة بين المعنى المذكور و المعنى المراد التوصل إليه، فعند استخدام عبارة "يلتهم الكتاب" الدلالة الأولى وهي التهام الكتاب أي أكله برغبة وسرعة نفس الدلالة المقصودة وهي قراءته بحماسة فكانه يحتاج إلى هضم، والعلاقة بينهما واقعية فانتقلت الاستعارة من مفهوم الأكل إلى مفهوم القراءة، وهو ما يسوع الانتقال من المعنى الأصلي إلى المعنى القصدي.

وكذلك نجد هذا المعنى في قوله عَزَّ جَلَّ (الرِّيَّاتُ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ) (القرآن: إبراهيم ١) فقد فسره العلماء على أن التعبير بقوله: "الظلمات إلى النور" مستعار، وحقيقة من الجهل إلى العلم، والاستعارة أبلغ لما فيه من البيان بالإخراج إلى ما يدرك بالأبصار، وإنما عنى بـ"الظلمات" في هذا الموضع الكفر. وإنما جعل "الظلمات" للكفر مثلاً؛ لأن الظلمات حاجة للأبصار عن إدراك الأشياء وإثباتها، وكذلك الكفر حاجب أبصار القلوب عن إدراك حقائق الإيمان والعلم بصحته وصحة أسبابه. فأخبر - تعالى ذكره - عباده أنه ولِي المؤمنين، وبمesserهم حقيقة الإيمان وسبله وشرائعه وحججه، وهاديهم، فموقفهم لأدلة المزيلة عنهم الشكوك، بكشفه عنهم دواعي الكفر (الطبرى، ٤٢٥).

### ٤\_ وظيفة أسلوبية(التأكيد والبالغة):

يذكر البلاغيون فكرة التقوية أو التأكيد في كثير من الأشكال اللغوية التي لا تبدو فكرة التوكيد فيها بارزة، ولعل التقوية في الاستعارة تأتي من إيراد المعنى بذكر ما يشبهه فيكون أكثر تأكيداً من ذكره في معناه الأصلي، ولتوسيعه الفكرة أكثر تمثل بالاستعارة التي تداولتها كتب النقد والبلاغة "كثير الرماد" والمعنى المقصود "الكريم"، ومما يستشف منه قوة المعنى وتوكيده في النفس ما ذكره أبوهلال العسكري في قوله: «والشاهد على أن للاستعارة المصيبة من الموضع ما ليس للحقيقة أن قول الله تعالى: (يَوْمٌ يَكْشِفُ عَنْ سَاقِي) (القرآن: القلم ٤٢) أبلغ وأحسن وأدخل مما قصد له من قوله لو قال: "يُوْمٌ يَكْشِفُ عَنْ شَدَّةِ الْأَمْرِ" ، وإن كان المعنيان واحداً؛ ألا ترى أنك تقول لمن تحتاج إلى الجد في أمره: "شَمَرَ عَنْ سَاقِكَ فِيهِ" ، واشدد حيازيمك لَه؟؛ فيكون هذا القول منك أوكد في نفسه من قوله: جَدٌّ فِي أَمْرِكَ (كتاب الصناعتين، ٢٦٨).

ومن مواضع الاستعارة في القرآن الكريم التي يلمس فيها معنى المبالغة، قوله تعالى: (فَأَنْشَرْنَا يَهٗ بَلْدَةً مَيِّةً) (القرآن: الزخرف ١١) النشر هنا مستعار، وحقيقة: أظهرنا به النبات والأشجار والشمار فكانت كمن أحيناه بعد إماتته، فكانه قبل: أحينا به بلدة ميتا من قوله: "أنشر الله الموتى فنشروا".

وهذه الاستعارة أبلغ من الحقيقة لتضمنها من المبالغة ماليس في أظهرنا، والإظهار في الإحياء والإنبات إلا أنه في الإحياء أبلغ (النكت في إعجاز القرآن، ۸۹).

#### ٤\_وظيفة الاقتصاد في اللغة (تلخيص العبارة من خلال الإشارة):

يعتبر الاقتصاد في اللغة من أهم المبادئ التي تقوم عليها اللغات البشرية، ويتمثل في أن الإنسان يسعى إلى بذل أدنى جهد ممكن، فلا ينفق إلا بالقدر الذي يتحقق له أغراضه كما عرفه أندريه مارتيني (177 - 176 P Martinet, 1960)، ولعل أهم علم اهتم في تاريخ اللغة العربية بمبدأ الاقتصاد هو البلاغة العربية، والمتبعة لدروسها المجملة والمفصلة يلاحظ تأكيد البلاغيين على هذا المبدأ خصوصاً في حديثهم عن المجاز والصور البينية.

إن التعبير بواسطة الاستعارة يعطي الفائدة على مستوىين لفظي ومعنوي لا يمكن أن يؤدي إلى بواسطة العبارة التي انتقلت منها الاستعارة، وذلك مع المحافظة على مبدأ الاختصار أو الاقتصاد اللغوي. يقول المتنبي:

وَأَقْبَلَ يَمْشِي فِي الْبَسَاطِ فَمَا دَرَىٰ إِلَى الْبَدْرِ يَرْتَهِي  
فِجَاءُ بِالْأَخْتَصَارِ الْعَبَارَةُ مَعَ بلوغِ الْمَرَادِ دُونَ تَضْيِيلِ الْفَظْوَفِ فِي الْمَعْنَى الْمَقْصُودِ، وَهُوَ هَنَىِصِفُ  
حَالِ رَسُولِ الرُّومِ دَاخِلًا عَلَى سِيفِ الدُّولَةِ، فَيَنْتَعِ فِي وَصْفِ الْمَدْحُوِّ بِالْكَرْمِ، إِلَى الْإِسْتَعَارَةِ  
التَّصْرِيْحِيَّةِ، وَالْإِسْتَعَارَةِ كَمَا عَلِمْتَ مَبْنِيَّهُ عَلَى تَنَاسِيِّ التَّشْبِيهِ، وَالْمَبَالَغَةِ فِيهَا أَعْظَمُ، وَأَثْرَهَا فِي النُّفُوسِ  
أَبْلَغُ (الْهَاشَمِيُّ، ٢٩٦)، وَهُوَ مَا نَلَمَحَهُ كَثِيرًا عَنْ الشُّعَرَاءِ الْمُجَدِّدِينَ فِي الْوَصْولِ إِلَى مَبْتَغِ الْوَصْفِ  
وَالْتَّشْبِيهِ بِأَوْجُزِ عَبَارَةٍ، وَهُوَ مَا لَا يَتَأْتِي إِلَّا لِنَخْبَةِ الْمُتَمَكِّنِينَ مِنَ الْأَدَوَاتِ الْلُّغُوِّيَّةِ وَالْبَلَاغِيَّةِ.

وقال كذلك في وصف القلم:

يَمْحَ ظَلَاماً فِي نَهَارِ لِسَانِهِ وَيَفْهَمُ عَمَّنْ قَالَ مَا لَيْسَ يَسْمَعُ (الواحدِي، ٢٤)  
فَأَبْوَ الطَّيْبِ يَرِيدُ أَنْ يَصُورَ لِسَانَ هَذَا الْقَلْمَ (أَيْ طَرْفَهُ الْمُبَرِّي) بِأَنَّهُ يَمْحَ أَيْ يَقْذِفُ ظَلَاماً (حِبْرًا،  
مَدَادًا) فِي نَهَارٍ (يَرِيدُ الْقَرْطَاسَ)، وَيَفْهَمُ عَمَّنْ قَالَ مَا لَيْسَ يَسْمَعُ، أَيْ أَنَّ هَذَا الْقَلْمَ بِمَا قَذَفَهُ مِنْ مَدَادٍ  
عَلَى الْقَرْطَاسِ عَيْرَ عِمَّا يَرِيدُهُ الْكَاتِبُ مِنْ غَيْرِ سَمَاعِهِ.

ومن أمثلة الاستعارة في القرآن الكريم التي تشمل المعنى وتحيط به بأوجز تعبير - رقم عمق الصورة - قوله تعالى: (سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَنْفُرُ كَادَ تَمَيَّزَ مِنَ الْغَيْظِ) (القرآن: الملك ٨\_٧)، فكلمة "شهيقاً" حقيقته "صوتاً فطيعاً كشهيق الباكي"، والاستعارة أبلغ منه وأوجز، والمعنى الجامع بينهما قبح الصوت. وعبارة "تميز من الغيظ" حقيقته: "من شدة الغليلان بالانتقاد"، والاستعارة أبلغ منه، لأن مقدار شدة الغيظ على النفس محسوس مدرك (نفس المصدر، ٨٧).

#### ٤\_القيمة الحجاجية في الاستعارة:

ولكون الاستعارة أكثر إثارة لانتباه المتألق وأكثر قدرة على التأثير فيه بقدر ما تتحققه من غرابة وانحراف عن العادي المألوف يقول ابن سينا: ((واعلم أن الرونق المستفاد بالاستعارة والتبدل سببه الاستغراب والتعجب. وما يتبع ذلك من الهيبة والاستعظام والروعه، كما يستشعره الإنسان من مشاهدة الناس الغرباء، فإنه يحتشمم احتشاما لا يحتشمم مثله المعرف)).

وقد اعتبر عبد القاهر الجرجاني المعنى المستفاد من فهم الاستعارة عند المتلقى معنى متميزا في سياقه الاستعمالي، وأطلق عليه مصطلح (معنى المعنى)؛ وهو بذلك يختلف عن المعنى اللغوي «المفهوم من ظاهر اللفظ، والذي تصل إليه من غيره واسطة» (دلائل الإعجاز. ص ٢٠٣). إذ إن معنى المعنى كما يفسره بكونه معنى غير مباشر ففهمه يتوقف على: «أن تعقل من اللفظ معنى، ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر» (الجرجاني، ١٠٢).

ومفهوم "معنى المعنى" كما طرحة عبد القاهر - أو "المعاني الثاني" كما هو المصطلح عند حازم القرطاجني(القرطاجني، ١٩) لها تعلق كبير بمفهوم "التوسيع" ، ومفهوم "المجاز": "إنَّ صور المعاني لا تتغير بنقلها من لفظ إلى لفظ، حتى يكون هناك اتساع ومجاز، وحتى لا يُراد من الأنفاظ ظواهر ما وُضِعَتْ له في اللغة، ولكن يُشار بمعانٍ إليها إلى معانٍ آخر"(الجرجاني، ٥: ٢٠٠).).

والمعنى على هذا التصور يقوم على الاستعارة\_ بالإضافة للتشبيه والكتابية\_ وهو نتاج الترابط بين اللفظ والنظام لذلك قال عبد القاهر في تفسير مفهوم الاستعارة: "إنَّ من الاستعارة ما لا يمكن بيانه إلا من بعد العلم بالنظام، والوقوف على حقيقته... ومن دقيق ذلك وخفيه أنَّك ترى الناس إذا ذكروا قوله - تعالى : - ( وَانشَعَلَ الرَّأْسُ شَيْئًا ) ( القرآن: مريم٤ ) لم يزيدوا فيه على ذكر الاستعارة، ولم ينسبوا الشرف إلا إليها، ولم يروا للمزية موجيًّا سوها، هكذا ترى الأمر في ظاهر كلامهم، وليس الأمر على ذلك... ولكن لأنَّ سُلُك بالكلام طريق ما يُسند الفعل فيه إلى الشيء ، وهو لما هو من سببه، فيرفع به ما يُسند إليه، ويؤتى بالذى للنفع له في المعنى منصوباً بعده مُبيِّناً أن ذلك الإسناد وتلك النسبة إلى ذلك الأوَّل، إنَّما كان من أجل هذا الثاني، ولِمَا بينه وبينه من الاتصال والملاسة... ثم يدعونا عبد القاهر إلى المقارنة بين قولنا: "اشتعل شيب الرأس" ، أو "الشيب في الرأس" ، وبين نص الآية الكريمة فيقول: "ثم تنظر هل تجد ذلك الحُسْن، وتلك الفخامة؟ وهل ترى الروعة التي كنت تراها؟ فإن قلت: فما السبب في أن كان "اشتعل" إذا استعير للشيب على هذا الوجه كان له الفضل، ولم يان بالمزية من الوجه الآخر هذه البيونة؟ (دلائل الإعجاز. ص ٩٠).

إنَّ هذا النص يدل على أنَّ "معنى المعنى" لا يكون في اللغة المباشرة العادية التقريرية، إنَّما يكون في استخدامات اللغة التي تمثل خروجاً عن النمط المثالي للغة، وانتهائًا لما هو مألف ومباشر، وأهم شكل تتحقق فيه الاستعارة بجميع أنواعها، ومن خلال هذه المقارنة بين تركيب الكلام بالاستعارة في شكل غير مباشر وتركيبة على حقيقته ووفق العلاقات الأصلية يمكننا أن نقف على المقصود من سلوك المتكلم الطريقة غير المباشرة في حين كان بإمكانه الوصول مباشرة باللغة التي تحقق التواصل دون إعمال للذهن وبحث عن العلاقات، لنجد الفكرة متمثلة في تحليل الجرجاني للاستعارة الذي يذهب فيها إلى حد القول: "كَلَّا زَدْتِ إِرَادَتَكَ التَّشْبِيهِ إِخْفَاءً، ازدادتِ الْإِسْتَعَارَةُ حَسْنًا، حَتَّى أَنْكَ تَرَاهَا أَغْرِبَ مَا تَكُونُ إِذَا كَانَ الْكَلَامُ قَدْ أَلْفَ تَأْلِيفًا إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَفْصِحَ فِيهِ عَنِ التَّشْبِيهِ، خَرَجْتَ إِلَى شَيْءٍ تَعَافِهِ النَّفْسُ، وَبِلَفْظِهِ السَّمْعُ" (نفس المصدر. ص ٣٢٥).

وعلى هذا فالاستعارة شكل أدائي مميز في اللغة يقتضي في سياقه التواصلي خصائص تختلف عن الأداء اللغوي العادي والمباشر يقلب فيه المألف غريباً والغريب مستساغاً في تقبيله. وقول الشاعر الذي استشهد به الجرجاني هنا هو:

أثمرت أغصان راحِتَ لجنة الحسن عتاباً (بن المعتز، ص ٤٣) لو ظهر فيه التشبيه على النحو التالي: "أثمرت أغصان يده التي هي كالأغصان لطالبي الحسن، شبيه العناب من أطافلها المخصوصة" ويتبين من ذلك الفرق بين التراكيبين من ناحيتين: الأداء اللغوي، وما يستفاد معنويا إلى جانب الاختصار في الاستعارة وما يقابلها من إطالة في العبارة الشارحة للمعنى، وهو ما ينفي فكرة المطابقة بين الاستعارة و معناها الذي يعد مجرد تقرير وشرح للمعنى:

وقد ورد استعمال الاستعارة في مواطن كثيرة من القرآن الكريم شكلت فيه بنية لغوية خاصة أُسِّيَّغَتْ معاني متعددة نقلت فيها المعاني من مجال إلى مجال آخر بغرض الماشابهة بما تحمله من قوة في المعنى وقدرة على التأثير والإقناع بتحقق الصورة، كقول الله تعالى: (وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَسَّسَ) (القرآن: التكوير ١٨) فقد شبه الله عز وجل الصبح بأنه إنسان يمكنه التنفس، وهنا تم ذكر المشبه وهو الصبح ثم حذف المشبه به وهو الإنسان ولكن أبقى شيء من صفاته وهو التنفس، وقد بسط المفسرون القول في شرح معنى الاستعارة و المناسبة للمعنى المقتصد سياقياً، فالتنفس كما ذهب ابن عاشور "حقيقة خروج النفس من الحيوان، استعيير لظهور الضياء مع بقايا الظلام على تشبيه خروج الضياء بخروج النفس على طريقة الاستعارة المصرحة، أو لأنه إذا بدا الصباح أقبل معه نسيم فجعل ذلك كالتنفس له على طريقة المكنية بتشبّه الصبح بذى نفس مع تشبيه النسيم بالأنفاس(بن عاشور، ١٩٨٤ ص ١٥٤)، لأنه لما كان النفس ريحًا خاصاً يفرج عن القلب انبساطاً وانقباضاً شبه ذلك النسيم بالنفس، وأطلق عليه الاسم استعارة، وجعل الصبح متنفساً لمقارنته له ففي الكلام استعارة مصرحة، وتجوز في الإسناد(الألوسي، ١٤١٥ هـ ج ١٥. ص ٢٦٣).

وكثيراً ما ترد الأشكال الاستعارية في النصوص الإبداعية وفي القرآن الكريم محتملةً لعدة تحليلات وتأويلات بحسب المعنى المستفاد منها وهي بذلك تعكس سعة استعمال الاستعارة في الكلام بما تحمله من مرونة في تزويد المتكلمي باحتمالات للفهم تزويدي كلها في النهاية إلى معنى صحيح ومقبول مقامياً، من ذلك قوله تعالى: (وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضْبُ) (القرآن: الأعراف ١٥٤) فقد شبه الله عز وجل الغضب بأنه إنسان يمكنه أن يهدأ أو يسكت، وهنا تم التصريح بالمشبه وهو الغضب وحذف المشبه به وهو الإنسان ولكن أبعقى على شيءٍ من صفاته وهو الهدوء والسكوت، والسكوت هنا كما يرى ابن عاشور "مستعار للذهاب الغضب عنه، شبه ثوران الغضب في نفس موسى المنشي خواطر العقوبة لأخيه ولقومه وإلقاء الألواح حتى انكسرت، بكلام شخص يغيره بذلك، وحسن هذا التشبيه أن الغضبان يجيش في نفسه حديث للنفس يدفعه إلى أفعال يطفئ بها ثوران غضبه، فإذا سكن غضبه وهدأت نفسه كان ذلك بمنزلة سكوت المغرر، فلذلك أطلق عليه السكوت، وهذا يستلزم تشبيه الغضب بالناطق المغرر على طريقة المكينة، فاجتمع استعاراتان، أو هو استعارة تمثيلية مكونة لأنه لم تذكر الهيئة المشبه بها ورمز إليها بذكر شيءٍ من روادها وهو السكوت وفي هذا ما يؤيد أن إلقاء الألواح كان أثراً للغضب (التحرير والتنوير. ج. ٩. ص ١٢٢)، وبهذا التحليل يمكننا إدراك القيمة العجاجية للاستعارة باعتمادها كتقنية أسلوبية تعطي أبعاداً

## الاستعارة بين الأداء الفني والبعد التواصلي؛ دراسة تداولية

تصورية لعلاقة الغضب بالسكتوت وبالإنسان ضمن علاقة ثلاثة صارت بتصور المعنى المقصود استلزامية.

### حصاد البحث

وفي الأخير ينبغي التنبيه في هذه الدراسة على أمر قد تغافلت عنه أغلب الدراسات البلاغية مثلما تبه عبد القاهر الجرجاني في تحديده للاستعارة وفهمه لمواضعها وكيفية تحليلها، والاستفادة من معطيات الدرس اللسانى الحديث بما يتلاءم مع التأليف في اللغة العربية وطبيعتها، وهو أنه لا تقاويم في استعمال الاستعارة وغيرها من الصور البلاغية مقامياً، إذ يتوقف الاستعمال والشكل البلاغي المناسب للنحو ولحال الساعم ومستواه في التقلي، وهو ما يؤكد ضرورة التحليل الذي يقوم علىأخذ الاستعارة كأحد أشكال الأداء اللغوي في إطاره التواصلي وذلك بإعادة دراستها لتأخذ قيمها الحقيقة، وتبتعد عن الطرح التقليدي الذي يقيدها بمفهومي الانتقال والتшибيع، اللذان تقوم عليهما ولكنها في نفس الوقت تعدّ تعبيراً عن حالة أو معنى لا يمكن التعبير عنه بغيرها مقاماً – وإن كان المعنى الذي نقلت منه – وهو ما يمنح دراسة هذه الصور ضمن إطارها الفعلى الاستعمالي دون تنميطها لكي لا تفقد حيويتها ومررتها الأدائية التي تربطها بالمعنى أو المعنى المقصودة، وهي بذلك تؤدي وظيفة تأثيرية إيحائية تتمكن في النفوس والقلوب والعقول والعواطف من قبيل التعبير الإيحائي.

### المصادر والمراجع

- أبو العدوس، يوسف، (1997) الاستعارة في النقد الأدبي الحديث الأبعاد المعرفية والجمالية، عمان: الأهلية للنشر والتوزيع.
- الألوسي، (١٩٩٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. ترجمة: علي عبد الباري عطية. الطبعة ، ١، بيروت: دار الكتب العلمية.
- إيكو، أمبرتو، (٢٠٠٥)، السيميائية وفلسفة اللغة، ترجمة: أحمد الصمعي، الطبعة ، ١، بيروت: المنظمة العربية للترجمة.
- بلبع، عيد، (٢٠٠٥) الرؤية التداولية للاستعارة. مجلة علامات. مكتاب. المغرب، العدد .٢٣.
- بن المعتز، عبد الله، (٢٠١٩) الديوان. ترجمة: عمر فاروق الطباخ. بيروت: دار الأرقام بن أبي الأرقام للطباعة والنشر والتوزيع.
- بن عبدة، علقة، (١٩٩٦) الديوان. تحقيق: سعيد نسيب مكارم. بيروت: دار صادر.
- الجرجاني، القاضي، (١٩٦٦) الوساطة بين المتنبي وخصوصه. ترجمة: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي البعجاوي. عيسى البابي الحلبي.
- الجرجاني، عبد القاهر، (٢٠٠١) أسرار البلاغة. تحقيق: محمود محمد شاكر، القاهرة، دار المدنى بجدة.

- الجرجاني، عبد القاهر، (٢٠٠٥) دلائل الإعجاز. تحقيق: علي محمد زينو. الطبعة ١، دمشق: مؤسسة الرسالة ناشرون.
- الرمانی، (١٩٧٦) النكت في إعجاز القرآن. تحقيق: محمد خلف الله و محمد زغلول سلام. الطبعة ٣، مصر: دار المعارف.
- سلیمان احمد، عطیة، (٢٠١٨) الاستعارة القرآنية في ضوء النظرية العرفانية. الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي.
- الطاھر بن عاشور، محمد، (١٩٨٤) التحریر والتنویر. تونس: الدار التونسية للنشر.
- الطبری، ابن جریر، (٢٠١١) تفسیر الطبری جامع البیان فی تأویل آی القرآن. تحقيق: محمود محمد شاکر. مصر: دار المعارف.
- العسکری، أبو هلال، (١٩٩٨) كتاب الصناعتين. تحقيق: علي محمد البجاوی و محمد أبو الفضل إبراهیم. بيروت: المکتبة العصریة.
- القرطاجنی، حازم، (١٩٨٦) منهاج البلاغة وسراج الأدباء. تحقيق: محمد الحبیب بن الخوجة، دار الكتب الشرقية.
- الهاشمي، أحمد، (٢٠١٩) جواهر البلاغة في المعانی والبيان والبدیع، تحقيق: يوسف الصمیلی، بيروت: المکتبة العصریة.
- الواحدی، أبو الحسن، (١٩٩٩) شرح دیوان المتنی، لبنان: دار الرائد.

### Acknowledgements

We would like to express our thanks to reviewers for their valuable suggestions on an earlier version of this paper.

### Declaration of Conflicting Interests

The author(s) declared no potential conflicts of interest with respect to the research, authorship and/or publication of this article.

### Funding

The author(s) received no financial support for the research, authorship, and/or publication of this article.

## REFERENCES

- Abu Al-Adous, Y., (1997) *Metaphor in Modern Literary Criticism: Cognitive and Aesthetic Dimensions*. Omman: Al-Ahliya for Publishing and Distribution. [In Arabic]
- Al-Alusi, (1994) *Roh Al-Mahani fi Qur'an and the Seven Mathani*. Translated by Ali Abdel-Bari Attia. 1<sup>th</sup> edition, Beirut: Dar Al-Kotob Al-Elmiyyah. [In Arabic]
- Al-Askari, A., (1998) *Al-Sanaatayn*. Edited by: Ali Muhammad Al-Bajawi and Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim. Beirut: Al-Maktaba Al-Asriya. [In Arabic]
- Al-Hashemi, A., (2019) *Jaehr Al-Balage*, Beirut: Al-Maktaba Al-Asriya. [In Arabic]
- Al-Jurjani, A., (1966) *Al-Wesata between Al-Mutanabbi and his Opponents*. Translated by: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim and Ali Al-Bajawi. Issa Al-Babi Al-Halabi. [In Arabic]
- Al-Jurjani, A., (2001) *Asrar of Rhetoric*. Edited by: Mahmoud Muhammad Shaker, Cairo, Dar Al-Madani, Jaddah. [In Arabic]
- Al-Jurjani, A., (2005) *Dalael Al-Ehjaz*. Edited by: Ali Muhammad Zayno. 1<sup>th</sup> edition, Damascus: Al-Resala Foundation Publishers. [In Arabic]
- Al-Qartajani, H., (1986) *Menhaj Al-Bolaga*. Edited by Muhammad Al-Habib Ibn Al-Khawja, Dar Al-Kotob Al-Sharqiya. [In Arabic]
- Al-Rumani, (1976) *Al-Nokat on the Miracle of the Qur'an*. Edited by: Muhammad Khalaf Allah and Muhammad Zaghloul Salam, 3<sup>th</sup> edition, Egypt: Dar Al-Maaref. [In Arabic]
- Al-Tabari, I., (2011) *Al-Tabari's Interpretation: A Comprehensive Explanation of the Interpretation of the Qur'an*. Edited by Mahmoud Muhammad Shaker. Egypt: Dar Al-Maaref. [In Arabic]

---

**Pragmatic Study of Metaphor between Literary Function and Communicative Aspect [In Arabic]**

---

- Al-Taher bin Ashour, M., (1984) *Al-Tahrir*. Tunis: Tunisian House for Publishing. [In Arabic]
- Al-Wahedi, A., (1999) *Commentary on the Diwan of Al-Mutanabbi*, Lebanon: Dar Al-Raed. [In Arabic]
- Balbaa, E., (2005) *The Pragmatic Perspective of Metaphor*. Alamat Journal. Meknas, Morocco, [In Arabic]
- Bin Abdo, A., (1996) *The Diwan*. Edited by: Saeed Naseeb Makarem. Beirut: Dar Sader. [In Arabic]
- Bin Al-Mu'tazz, A., (2019) *The Diwan*. Translated by: Omar Farouk Al-Tabbaa. Beirut: Dar Al-Arqam Ibn Abi Al-Arqam for Printing, Publishing, and Distribution. [In Arabic]
- Eco, U., (2005), *Semiotics and the Philosophy of Language*, translated by Ahmad Al-Samai, 1<sup>th</sup> edition, Beirut: Arab Organization for Translation. [In Arabic]
- Martinet, A., (1960) *Eléments de Linguistique générale*. Paris: Armand Colin. [In Arabic]
- Sulayman Ahmad, A., (2018) *Qur'anic Metaphor in Light of Gnostic Theory*. Modern Academy for University Books. [In Arabic]